اذا صار الوجود وقوله تعالى اولئك اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم
بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله عز
وجل على هدى خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اى هدى
هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم
بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيف ما يريد وعلى استعارة تمسكهم
بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه وعلى
جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال
رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية
اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اى على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته
تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف
والمضاف اليهم وتشريفهما او لزيادة تحقيقهما مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه
وقد ادغم النون في الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين بالمتقين مستقلة
لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تاكيد له وتحقيق كيف لا
وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته
لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما
ينشأ مما سبق كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم
الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام اصل
الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاى ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه
ولهذا جار عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب اولئك الموصوفين غير مستبعد ان
يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا واما على تقدير كونهما مفصولين عنه
فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه جملة
استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان
مباني استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى
عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اى الذين هذه شؤونهم
احقاء بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وبذلوا مهجهم في سبيل الله اولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم

ان هذا

19

ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد
زيد حقيق بالاحسان والاخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك
ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة
الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في
سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجرى على
المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ واولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا
بغير المؤمنين من اهل الكتاب بحيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح واولئك
هم المفلحون تكرير لاسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك
الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم وتؤيده
توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة الثانية مقررة
للاولى واما الفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل
منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لا
لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او اشارة
الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا في بيان اختصاص المتقين بنيل هذه
المراتب الفائقة على فنون الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الاية الكريمة
من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق
ان الذين كفروا كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة والغواة والمردة العتاة اثر بيان
احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمال وانما ترك العاطف
بينهما ولم يسلك به مسلك قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في
الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شان الكتاب في باب الهداية و
الارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول
موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستيناف مبني على سؤال ناشئ من الكلام المتقدم
فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم
في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم
لا يكونون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول راكبين في مسلك المكابرة والعناد متن كل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)